الفصل الثالث:

العودة للتجارة.. مجـدداً

الفصل الثالث: العودة للتجارة .. مجدداً

كان طموح محمد السبيعي عالياً علو جبال مكة الشاهقة التي تحيط به من كل مكان، ولم تشبع الوظيفة تطلعاته ورغباته.. ولم تستوعب الأعمال الصغيرة التي قضى فيها خمس سنوات من شبابه طاقته العظيمة، فاستبدَّ به الحنين للتجارة مجدداً، فظل يبحث دوماً عن الأعمال التي تلبي طموحه وتحقق بغيته، فقرر - وهو في العشرين من عمره - العودة إلى مكة المكرمة وشعاره شعار أحد صحابة رسول الله ﷺ : «دلّوني على السوق».(١)

فبعد أن أمضى في وظيفة الإمارة أربع سنوات متنقلاً في الوظائف من حارس إلى كاتب إلى مفتش عزم على العودة إلى مكة المكرمة؛ علّه يجد فرصاً أفضل للعمل هناك، وكان يستمد العزم من الله ثم من وجود أمه وأخيه إلى جانبه؛ ليتابع رحلته بالعزم والتصميم مهما كلفه الأمر، ويردد في سره وعلانيته دوماً قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢) .

والحمد للي بدل العسر يسرا

من راقب الله واجتهد فهو ربحان

---

(١) هذه عبارة وردت في سياق حديث الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه عند هجرته من مكة إلى المدينة وبداياته رضي الله عنه في التجارة.

(٢) سورة الشرح آية ٦

هكذا كانت تبدو أسواق مكة التجارية عام ١٣٥٠ هـ

فذهب إلى مكة وعمل بالجودرية يبيع ويشتري ويحرِّج.

ويبحث عن دكان يعمل فيه. فجلس ذات مساء ليجد أن مجموع أرباحه بلغت أربعة ريالات في الشهر وهو المسؤول -بعد الله- عن القيام بأمر عائلته، ويفكر في الزواج، وتحقق ما وعد الله به من فرج، فقد يسّر الله له سليمان بن غنيم أحد تجار مكة الذي كان يعد العدة للسفر إلى دارين في المنطقة الشرقية وزيارة أقاربه ، حيث سيبقى غائباً لمدة ستة أشهر، وكان يبحث عن شخص يمتاز بالنزاهة والإخلاص وصدق العزيمة ليسلِّمه أعماله، ونظراً لوجود العم ناصر السبيعي في مكة وكان صديقاً لابن غنيم، فقد نصحه أن يسلِّم أمور ذلك المتجر الصغير إلى ابن أخيه محمد، وعقدا اتفاقهما على أن يكون الربح مناصفة فيما بينهما، واتفقا أيضاً على شراكة يتقبل السبيعي بموجبها ما في دكان ابن غنيم من أقمشة وعقل وغتر مقابل تسعمائة وخمسين ريالاً، ومع أنها لا تساوي أكثر من خمسمائة ريال، إلا أن السبيعي وافق على هذا العقد لقناعته بأهمية هذه الشراكة وعزمه على أن تكون بداية انطلاقته في عالم التجارة.

وفعلاً شمَّر السبيعي عن ساعد الجد واستعان بخالقه وثابر، وكان رأسماله جهده وحرصه على العمل، وبدأ نشاطه التجاري في إدارة شركة سليمان الغنيم ومحمد السبيعي، فكان يشتري بالدين من التجار في مكة، وذلك لمعرفتهم به وبعمه ناصر -رحمه الله- وبدأ يتاجر بالمشالح والغتر والعقل ويرسل شحنات من المواد الغذائية إلى تجار الرياض.

مرّ الوقت، وتتابعت الأيام، وانقضت الشهور وعاد سليمان بن غنيم من رحلته ورأى النجاحات الباهرة التي حققها محمد في غيابه بفضل الله وتوفيقه، ثم بفضل علاقته الحسنة مع التجار وصدقه في التعامل معهم وأمانته الوافرة؛ لذا فقد، قرر ابن غنيم - رحمه الله - أن يبقي شريكه السبيعي في مكة وأن ينتقل هو إلى الرياض لإدارة أعماله هناك.

وحين أنهى أخوه الأصغر عبدالله دراسته رغب السبيعي في أن يعمل شقيقه

صورة توضح انتعاش الحركة التجارية في مكة المكرمة كثيراً بعد دخولها في حكم الدولة السعودية عام ١٣٥٧هـ

معه دون التعرض لحصة شريكه ابن غنيم، فعملا معاً وكانت بداية شراكتهما التجارية.

واستمر النجاح حليفاً لهما في عملهما التجاري، ترفرف عليهما رايات التوفيق ويظللهما الكسب المادي والمعنوي، فتعاقدا مع وزارة المالية ليؤمّنا لها -بموجب عقد- المشالح والعقل والجوخ (١) والترمه(٢) وغير ذلك، ثم صارا يحولان رواتب وزارة المعارف إلى جميع أنحاء المملكة، وقد كانت -للسبيعي- الشاب المقبل على التجارة بكل نشاط وأمانة بين التجار مكانة مرموقة وخاصة بين تجار مكة، وبفضل الله توسعت تجارتهما وعملا بالصرافة إلى جانب التجارة، وتعاملا مع تجار من الكويت ولبنان موسعين بذلك نشاطهما إقليمياً.

ويقول -حفظه الله- مستعرضاً بعض المواقف ذات الصلة بشراكته مع سليمان الغنيم -رحمه الله-: «جاءني إبراهيم الفريح -رحمه الله-

---

(١) *الجوخ: نوع من القماش يجلب من الهند.*

(٢) *الترمة: وهي تشبه ما يسمى الدقلة وتكون بيضاء وفيها نقط سوداء.*

في محل عملي في الجودرية وقال: يا محمد أنت شريك لابن غنيم في المحل فقط (ولكن يجيك سعي) تأتيك صفقات مربحة من تجار الرياض والكويت، وهذا ليس له علاقة بعملك مع الغنيم؛ لذلك أنصحك بأن تشتري بهذا الدخل بيتاً ينفعك، فقلت له بالحرف الواحد: «يا عم إبراهيم نويت أنا وابن هالحلال شراكة ولو يدخل علي هدية ما استحله، فرد معاتباً: والله إنك لا تعرف أين تكون مصلحتك».. جزاه الله عني خيراً وعوّضه الله الجنة والحمد لله، هذا من فضل ربي؛ لأن النية الصادقة بين العبد وربه والإخلاص من أسباب النجاح. وأوصي أولادي ومن يقرأ بمثل هذا وأكثر».ا. هـ

وبقيت الشراكة مع «سليمان الغنيم»حوالي ٢٨ سنة، وفي عام ١٣٨٢هـ قررا الانفصال وطي صفحة التجارة بينهما؛ نظراً لكبر الأولاد وكثرة الأعمال، وحلّت الشركة بكل محبة ووفاء، واتفقا على أن تحل الشركة بواسطة صديقين هما سليمان بن إبراهيم القاضي وعبدالله العوهلي، حيث تمت تصفية الشركة بكل أمانة ووضوح، وحدثنا السبيعي -أطال الله بقاءه على طاعته- أنه عند التصفية وجد سليمان بن غنيم مبلغ ثلاثين ألف ريال مقيَّدة له في حسابه، فرفض أن يأخذها؛ لأنها غير مطابقة لما لديه من كشوف ومستندات، فألزمه السبيعي بأخذ المبلغ وقال له: أنا لا آكل المال الحرام، فرد عليه سليمان بن غنيم قائلاً: أنا أعف منك عن الحرام. ثم بحث عن أصل الحسابات في الرياض ووجد أن هذا المبلغ يخص سليمان بن غنيم وبقيت الصداقة بينهما نحو ستة وثلاثين عاماً إلى أن لحق سليمان

الغنيم بربـــه -رحمه الله-

وصدق حفظه الله حيث يقول:

خـوف ربـــي والأمـانـة يربحـــني

وبرّك بأهـلك والصراحة لك ضماني

وأشكر المعـبود فضـــله ما يضنّي

جلّ جـوده ما يضنّ اللـي عطاني

ما درسـت ولا ورثـــت ولسـت فني

بل بفضـــله وامتـنانه هو هـداني

مِلْ قلـــبٍ دايـم ما يـرجـــهني

اتعـبن قلـب الخطـا بآخر زمـاني

obeikandl.com